

# حكاية رجل محترق نجا من متاهة الحرب

«المريض الإنجليزي».. تحطم صمت الصحراء

لا تتوقف تأثيرات الحروب بتوقفها، فهناك ندوب لا تندمل أبداً سواء في الأجساد أو في الأرواح أو في الأمكنة. وتتناقل الكثير من الحكايات بمختلف أبطالها جنوداً ونساءً وجنرالات وسياسيين وأطفالاً وغيرهم، قصص الحروب وما فتحة في النفوس من زرايب، ولكن أن تحكي الحرب، على عظمة تأثيرها وخرابها، من خلال مرضية وجندي عابر للصحراء، فذلك طريقة أخرى تمكن من خلالها الروائي الكندي مايكل أونداتجي من الغوص في تفاصيل الصحراء والذات القاحلة.

المرمضة هانا تغسل جسد الجندي المحترق الأسود كل أربعة أيام، مبتدئةً بقدميه المشتمتين، تبليل قطعة قماش وتضعها فوق كعبيه، وتغمر مائها وتنتظر إلى الأعلى حين يغتم، فتلج ابتسامته. تجد كيف أن الحروق فوق عظمي الساقين أشد سوءاً. اعتنت به طوال أشهر، وتعرفت إلى جسده جيداً، حتى صارت تعتقد أنه ملاكها اليأس.

يحكي الراوي كيف أن الرجل يسرد في هدوء قصصاً في الغرفة، تنزلق من فضاء إلى آخر كأنها صفير، ويستيقظ في التعريشة المرسومة حوله، تلك التي تحيطه بأزهارها المتناثرة، وأروع أشجارها الضخمة، يتذكر النزاهات، وامرأة قبلت جسده في أجزاء باتت محروقة الآن، لها لون البانجان.

يقول إنه ربما يكون أول شخص خرج حياً من الية مشتتة، وكان رأسه يحترق، وأمضى أسابيع في الصحراء، ناسياً أن ينتظر إلى القمر، كما يمكن أن يمضي رجل متزوج الأيام ولا ينظر أبداً إلى وجه زوجته، ويلفت إلى أن تلك الذنوب لم تكن ذنوباً ناجمة عن

اللاإبلا، بل أمارات انشغال. يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

يقول إن البدو الرحل عثروا على جسده وصنعوا له قارباً من عصي، وجروه عبر الصحراء، كانوا في بحر الرمال الأعظم، يعبرون بين فينة وأخرى مجاري أنهار جافة، وإنه حين سقط

هيثم حسين  
كاتب سوري

يحكي الروائي مايكل أونداتجي في روايته «المريض الإنجليزي»، قصة رجل محترق بالكامل له تاريخ غامض، وممرضته كندية مع لص ولغام سيخي برتبة ملازم، ويطلع من خلالها عدداً من القضايا المهمة التي تتعلق بالهجرة والمرض والحرب والسلام، بالتوازي مع الحب والكراهة وغير ذلك من المسائل التي تعد في جوهر العلاقات الإنسانية.

يختار أونداتجي في روايته، الصادرة عن منشورات دار روايات بالشراكة بترجمة أسامة إسبر وتحرير أحمد العلي، أربع شخصيات من عرقيات مختلفة هجرت وأبعدت عن أوطانها بسبب ويلات الحرب العالمية الثانية التي أفقدتها هويتها لينتهي بها الأمر في قاعدة بقرية توسكاني، لينفذ من خلالها إلى بواطن الأمور، وملتقط مفارقات ونقائض تتناهيها على هامش رحلة الحياة والحرب.

يسرد الراوي كيف أن المرمضة هانا التي خطفت الصرب أحبها، ترعى المريض الإنجليزي الذي يكون ضحية محترقة الجسد، مجهولة الهوية، وتطري عالم الرواية بالإضافة إلى كارفاجيو اللص والجاسوس والمدمن، وبارتريك الجندي القتيل، زوج كلارا الهاربة من الحرب، وكاترين زوجة كليفتون، وكيب وهو مهندس الغمام هندي، واللورد البريطاني سوفلو.

ينتقل أونداتجي بين عاشرين مختلفين، مركزاً بشكل كبير على أحداث الدواخل وتخييلات الشخصيات، فيعود إلى أجواء جنوب القاهرة بين سنوات 1930-1938، ليصور الصراع الجائر هناك، وكيف كان الجو الصحراوي القاسي مؤثراً على الشخصيات التي كانت تعيش مغامراتها هناك.

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص



قصة مثيرة لرجل فقد كل شيء



قراءة في الذكريات

يتخيل الراوي هانا وهي تتحرك وسط رفقة ليست من اختيارها، وكيف أنها لم تعثر على رفقتها الحقيقية، على الأصدقاء الذين تريدهم، وأنها امرأة شرف ونكاح، وحبها الوحشي لا يركن إلى الحظ، بل يجازف دائماً، ثمة فوق حاجبها علامة تستطيع هي فقط أن تتعرف عليها في المرآة.

ويتحول بدوره إلى متاهة من الخرائب المتحركة بروحه. كما يشير إلى أنه من السهل فقدان حس الاتجاه في الصحراء، وأنه حين سقط من الجو، وتحطمت طائرته في الصحراء، في تلك الأحواض الصفراء، كان كل ما فكر فيه هو أن يصنع معدية، ويحكي عن تشوشه، وأنه حين تاه بين البدو غير عارف أين هو، كان كل ما يحتاج إليه هو اسم أي مرتفع صغير، أو عادة محلية أو خلية من ذاك الحيوان المتفجرة المنخبل لديه، لتعود خارطة العالم إلى مكانها في ذهنه.

يؤكد الراوي أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص ودوي المدافع في المعارك، وأن أخطر أنواع القنابل هي التي ترمي من ارتفاعات منخفضة، والتي لا تعمل إلا بعد أن تهبط، حيث تدفن تلك القنابل غير المتفجرة نفسها في المدن والحقول وتبقى هاجمة إلى أن تزعج موصلات الرعاش ببعض مزارع أو لكزة عجلة سيارة أو ضربة كرة تنس على الغلاف، ثم تنفجر.

اشتعل حتى الرمل. شاهده يقف عارياً خارج الحريق، وكانت الخوذة الجلدية تحترق فوق رأسه، حزمه في مهد، في هيكل على شكل زورق، وتحركت الأقدام بصوت مكتوم راكضة به، يقول إنه حطم صمت الصحراء.

ينوه إلى تأثير الحروب على البدو وحياتهم، وكيف أنهم تعرفوا إلى الحرب بطريقة مختلفة، وأنهم عرفوا عن النار والطائرات التي تسقط من السماء منذ عام 1939، وبناتوا صنعون بعض أدواتهم وأنبتهم من معدن الطائرات الساقطة والديابات المحطمة، وأنه حينئذ كان زمن حروب السماء، حتى أصبح بإمكانهم التعرف على أزيز طائرة مصابة، وشق طريقهم عبر الشمايا. ويتذكر أنه دائماً ما كان على جسده إما مرهم وإما ظلمة.

يعود الراوي للحديث عن هانا التي تجلس وتقرأ كتاباً تحت ضوء مرتعش، ترسل نظرها من حين إلى آخر إلى صالة الفيلا التي كانت مشفى حربياً، حيث عاشت مع ممرضات أخريات قبل أن ينقلن تدريجياً، وكانت الحرب تتجه شمالاً، كما كانت على وشك الانتهاء.

صارت الكتب منفذها الوحيد للخروج من زنازنتها. أصبحت نصف عالمها.

## خرائط وخرائب

يحكي الراوي أنه حين حوصرت البلدة التي كانت المرمضة تكتم فيها مع المريض الإنجليزي، وتعرضت

اشتعل حتى الرمل. شاهده يقف عارياً خارج الحريق، وكانت الخوذة الجلدية تحترق فوق رأسه، حزمه في مهد، في هيكل على شكل زورق، وتحركت الأقدام بصوت مكتوم راكضة به، يقول إنه حطم صمت الصحراء.

ينوه إلى تأثير الحروب على البدو وحياتهم، وكيف أنهم تعرفوا إلى الحرب بطريقة مختلفة، وأنهم عرفوا عن النار والطائرات التي تسقط من السماء منذ عام 1939، وبناتوا صنعون بعض أدواتهم وأنبتهم من معدن الطائرات الساقطة والديابات المحطمة، وأنه حينئذ كان زمن حروب السماء، حتى أصبح بإمكانهم التعرف على أزيز طائرة مصابة، وشق طريقهم عبر الشمايا. ويتذكر أنه دائماً ما كان على جسده إما مرهم وإما ظلمة.

يعود الراوي للحديث عن هانا التي تجلس وتقرأ كتاباً تحت ضوء مرتعش، ترسل نظرها من حين إلى آخر إلى صالة الفيلا التي كانت مشفى حربياً، حيث عاشت مع ممرضات أخريات قبل أن ينقلن تدريجياً، وكانت الحرب تتجه شمالاً، كما كانت على وشك الانتهاء.

صارت الكتب منفذها الوحيد للخروج من زنازنتها. أصبحت نصف عالمها.

## خرائط وخرائب

يحكي الراوي أنه حين حوصرت البلدة التي كانت المرمضة تكتم فيها مع المريض الإنجليزي، وتعرضت



مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

مايكل أونداتجي يؤكد أن هناك مخاطر جمة وأثاراً خطيرة يستمر تأثيرها حتى بعد انتهاء الحروب وهمود أزيز الرصاص

الرواية تتابع أربع شخصيات من عرقيات مختلفة هجرت وأبعدت عن أوطانها بسبب ويلات الحرب العالمية الثانية

وجدير بالذكر أن مايكل أونداتجي وُلد في سبريلانكا 1943، هاجر إلى إنجلترا عام 1954 واستقر في كندا 1962، نشر العديد من المؤلفات، أشهرها روايته «المريض الإنجليزي» التي حازت جائزة البوكر 1992، وتحولت إلى فيلم سينمائي.

## بين الغالب والمغلوب

تطرح رواية «رحلة إلى الهند» للروائي البريطاني إدوارد فورستر، سؤالاً بسيطاً في ظاهره عميقاً في باطنه، هو هل يمكن أن تتحقق صداقة بين طرف مستعمر وآخر مستعمر في الوقت الذي يجثم فيه الطرف الغالب على أرض الطرف المغلوب؟

ويورد الراوي سؤاله هذا إلى مناسبات عدة في الرواية، التي صدرت في سنينها العربية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بترجمة عز الدين إسماعيل، ليتبين مدى القدرة العملية على تحقيق تصالح من نوع أو آخر بين الطرفين. لكن المحاولات المبذولة لهذا الغرض تبوء في الغالب بالفشل، بل إنها تعمق الهوة وتزيد اتساعها.

ونأتي خاتمة الرواية التي تناولت قضية الاستعمار من منظور مختلف يحاول التفكيك بهدوء بدل العنف، تنويجا للتعبير عن غياب أمر المصالحة جملة وتفصيلاً، إذ توجز القول بأن القرار في هذا الشأن هو بيد الهند نفسها التي ترفض سؤال المصالحة الذي يعرضه الطرف الغالب على الطرف المغلوب.



## أرمنية في مصر

تتابع رواية «موت منظّم» للكاتب المصري أحمد مجدي همام حكاية ماجدة سيمونيان وهي امرأة هرب أجدادها من الأناضول إثر المجزرة العثمانية بحق الأرمن قبل 100 سنة وهاجروا إلى عدة بلدان منها مصر. وتعاين ماجدة في الفترة من 2011 وحتى 2014 من الفوضى الأمنية في مصر بسبب تردي الوضع السياسي في البلاد، تعرّف على الصحافي الشاب عبدالرحمن سعد بصفه غريبة وبتنشأ بينهما علاقة تتأرجح ما بين الصداقة والحب.

الرواية مبنية على نظام بوليفوني يعتمد على تعدد أصوات الرواة، ولكل واحد من هؤلاء صوته الخاص المميز والمختلف عن بقية الأصوات السردية. وبطبيعة تعدد الرواة تعددت مستويات اللغة. فعبداً الرحمن، على سبيل المثال، يمتلك لغة جزلة وفصيحة وأكثر انسيابية من لغة ماجدة غير خالصة العروية.

تعرض الرواية، الصادرة عن دار هاشيت أنطوان/ نوفل، تفاصيل السنة الأخيرة من حياة ماجدة سيمونيان، وهي مقسمة إلى 4 أقسام يمثل كل منها فصلاً من فصول السنة.



## الربيع بمنظور امرأة

في رواية «الربيع في الأرض البعيدة» للكاتبة السعودية سلام عبدالعزيز، تشبكي الرواية مع القضايا العربية الحديثة والراهنة، إذ نجد عبر أحداث الرواية معالجة فنية لسلسلة أحداث «الربيع العربي»، من خلال إثارة الأسئلة حول راهن ذلك «الربيع»، ومستقبله وهي الأسئلة التي تركت عبدالعزيز الإجابة عنها للقارئ.

وتحضر الأثني في الرواية بوصفها مرتكزاً سردياً ومفصلاً، حيث ظلت الرواية قابضة على زمام السرد في جل مفاصل العمل، ومن خلال القضايا العديدة التي أثارها، خلال الفترة الزمنية التي تحركت في فضاءها. وجاءت الرواية من منظور فني مشتغلة على البعد التصويري لمشاهدتها، بحيث تم تجسيد هواجس شخصيتها من خلال مفردات الطبيعة، كما جاءت لغة السرد في إطار «السهل الممتنع، مشرعة على التراث وأمثاله الشعبية ولغته الدارجة».

وتعد هذه الرواية هي الثالثة لسلام، بعد روايتي «العممة» 2009، و«درج الغبار» 2014، وقد صدرت حديثاً عن دار البيروني للنشر والتوزيع في عمان.

